

دراسة تاريخية وأثرية للمسارح الإسلامية المغرب الأوسط نموذجا

الأستاذة: هادي حفيظة

جامعة سطيف 2

ملخص

الفخار صناعة عريقة عرفتها البشرية منذ أقدم العصور، كما أنه فن وعلم قائم بذاته، له نظرياته وتطبيقاته العلمية، إلا أن دراسته في المغرب الأوسط تعرف نقصا كبيرا للتعريف به وتحديد خصائصه رغم أهميته في مجال الآثار والفنون التطبيقية، وانتشاره في جميع المواقع الأثرية التي لم يكن التنقيب فيها بطرق علمية، ولم يحترم فيها مبدأ الطبقة إبان الحقبة الاستعمارية، ولهذا نحاول من خلال هذا المقال تسليط الضوء على إحدى أنواع المنتجات الفخارية المتمثلة في المسارح الزيتية لأهميتها كوسيلة للتأريخ بناء على تطور أشكالها وأساليبها الفنية، مما يساعد على تحديد أنماطها الرئيسية والفرعية، ومن ثم وضعها داخل إطارها الكرونولوجي الصحيح، بمقارنتها بأنماط أخرى وجدت موثقة طبقيًا في العالم الإسلامي شرقه وغربه، والتأكيد على أن المغرب الأوسط لم يكن بمعزل عن هذا الجو الفني العام السائد.

الكلمات المفتاحية: الفخار، المسارح الزيتية، الطبقة، التنميط

Abstract

The art of ceramic was very popular in central Maghreb. In fact, it used to constitute an important part of the region's personality. Today, this art is still largely unknown, as there are very few works that tried to study it and revive it. But even among these very few works, it was lately discovered that excavations were performed in a non-scientific way, without any respect of the principles of stratigraphy.

The present study deals with a particular type of ceramic products called the ceramic lamps of oil. Because Ceramic lamps of oil have undergone a continuous evolution through time, it can actually be used to perform significant

historiographical studies. In the present study, we will perform a comparative analysis between the findings about ceramic lamps of oil in central Maghreb region and in many other archeological sites from the Islamic world. This comparison will allow us to restore the chronological order that was damaged by the previous studies. We will also show that central Maghreb has never been isolated from the artistic world in the region.

Keys words: Ceramic, Lamps of Oil, stratigraphy. Typology

مقدمة

تعد صناعة الفخار¹ من الصناعات التي رافقت الانسان منذ فترة العصر الحجري الحديث (النيوليتيك) إلى وقتنا الحاضر، حيث اعتمد عليها في تلبية احتياجاته اليومية، وسجل فيها مختلف انطباعاته الفكرية، فهي محطة هامة نكتشف من خلالها مساره الطويل في هذا المجال الذي يحظى بعناية كبيرة من طرف المختصين، إلا أن هذا الاهتمام بالنسبة للمغرب الأوسط يكاد يكون منعهدا، رغم أهمية هذه الفترة من الناحية التاريخية والحضارية² وكثرة مخلفاته في المواقع الأثرية التي تفوق أي مادة أخرى، حيث أمدتنا هذه المواقع بكميات هائلة من هذه المنتجات الفخارية ومن أنواعها المسارج الزيتية التي

¹ الفخار: يقصد به المعمول من الطين الذي يتم اكسابه صلابة بعملية الفخ، عرف الانسان هذه الصناعة منذ فترة العصر الحجري الحديث بعد الاستقرار وممارسة الزراعة وتربية الحيوانات اللبونة وتحقيق الاكتفاء الغذائي وتخزين الفائض منه، كما دلت على ذلك المواقع الأثرية لهذه الفترة، ومع مرور الزمن أصبحت هذه الصناعة مهنة حرفية، ومنتوجاتها بضاعة صناعية، فتعددت أشكالها وأحجامها، وازدانت بالزخارف، وتعددت مصادر صناعتها وطرزها، وهذا ما نبه علماء الآثار إلى امكانية تأريخها، بناء على أنماطها واختلاف مواصفاتها وتتبع ذلك زمنيا، ومن ثم تأريخ الطبقات المحتوية على الشقف الفخارية، وكان عالم الآثار بيتري فلندنز أول من اهتم إلى امكانية التأريخ بالفخار في مواقع تعود إلى فترة ما قبل الكتابة.

² عرف المغرب الأوسط تعاقب عدة دويلات حاكمة: الرستميون في تهمرت 160-296هـ / 777-909م والزيرويون في أشير 324هـ/936م والحماديون في القلعة وبجاية 398-552هـ/1007-1157م والزيانيون بتلمسان 1236-1554م، وما عرفته هذه الفترة من تطور حضاري وفي كبير وتأثيرات خارجية نتيجة الوجود الفاطمي 909-975م والوجود المرابطي والموحدي بالأندلس.

تكتسي أهمية كبيرة كوسيلة للتأريخ بناء على تطور أشكالها وموصفاتهما الفنية، ونظرا لما عرفته هذه المواقع الاسلامية من ندرة في التوثيق وعدم احترام مبدأ الطبقيّة في الأسبار والحفائر الأثرية خلال الحقبة الاستعمارية¹ نطرح الاشكالية التالية ماهي أنماط هذه المسارج؟ وماهي مرحل تطورها؟ وما هو الاطار الكرونولوجي الصحيح لكل نمط من هذه الأنماط؟ خاصة وأن هذه المواقع عرفت تعاوبا حضاريا متواصلا، فمن الصعب التمييز بين مسارج فترة وأخرى، للتشابه الكبير بينها، وللإجابة على هذه الأسئلة قمنا بدراسة هذه المسارج دراسة تنميطية² ثم دراسة تأريخية، باعتماد مبدأ المقارنة بين هذه الأنماط التي تم تصنيفها وأنماط أخرى مماثلة وجدت مؤرخة في مواقع أخرى من العالم الإسلامي شرقيه وغربه.

ولدراسة هذا الموضوع قمنا بتوضيح مفهوم المسرجة وتحديد أنواعها ومكوناتها، ثم تحدثنا عن ظهور هذه الوسيلة منذ فترة ما قبل التاريخ وتطورها خلال الفترة القديمة حتى العهد الاسلامي، وركزنا في المبحث الموالي عن أنماط المسارج الاسلامية المقتبسة منها والأصلية لنخلص بعدها لدراسة أنماط المسارج بالمغرب الأوسط كما كشفت عنه الأبحاث الأثرية والأخير كانت حوصلة هذه الدراسة مجموعة من النتائج المستخلصة.

¹الطبقية: هي طريقة التعاقب الطبقي، حيث يتم تأريخ هذه الآثار من خلال التسلسل العمودي لطبقات الموقع الأثري، وتكون أقدمها زما في الأسفل، وأحدثها في الأعلى، مع ملاحظة التغيرات والتطورات في الطرز الصناعية والفنية على اللقى الأثرية. وهو في اعتقادنا مدلول كاف لرسم فكرة واضحة حول حجم المواقع الأثرية التي أتلقت نتيجة الحفر الأثري الغير مؤهل علميا من طرف العسكريين والموظفين الفرنسيين ابان فترة الاحتلال، ولعل موقع مسجل في قائمة التراث الانساني بحجم قلعة بني حماد على سبيل الذكر لا الحصر بافتقاده للدراسة الطبقيّة المتخصصة ذات الأهمية القصوى في تحقيب مراحل تطور شغول هذا الموقع وكذا تأريخ اللقى الأثرية المكتشفة فيه لدليل كاف على ذلك .

²التنميط: يعتبر العمود الفقري في أساسيات منهجية البحث الأثري، ويقوم أساسا على تقسيم المادة الأثرية ذات الميزة الواحدة إلى أنماط رئيسية وأخرى فرعية، بموجب صفات ومميزات تقتضي عزلها في نمط مستقل، ثم البحث عن صفات أخرى أدق يمكن على ضوئها تجزئة النمط الرئيسي إلى أنماط فرعية تسمى نماذج، وهذا يعني إمكانية متابعة تطور النمط طوال فترة استعماله، وأهم التغيرات التي طرأت عليه، مما يساعد على تأريخه.

1 تعريف المسرحجة، أنواعها وأجزائها:

تعرف المسرحجة لغة بوعاء صغير يوضع فيه الفتيل والزيت، يستعمل في الانارة، أما اصطلاحاً فالمسرحجة بالكسر التي توضع فيها الفتيلة والدهن، وبالفتح التي توضع عليها¹ فتكون بمثابة الغطاء الخارجي لها، قال ابن منظور "هو قرطه الذي نراه في القنديل وغيره"² ومن مرادفات المصباح والقنديل الزجاجي³ أما السراج فهو مصطلح عام يطلق على كل هذه الأنواع.

تنقسم المسارج إلى نوعين: المفتوحة: وهي من أبسط الأنواع وأقدمها ظهوراً، تكون على هيئة جفنة أو صدف مغطى جزء من حافتها للامساك بالفتيلة. أما النوع الثاني فهو المسرحجة المغلقة التي تتكون من الخزان وهو الوعاء المفتوح أو المغلق الذي يستودع فيه الوقود من شحوم وزيوت⁴، ويكون على عدة أشكال إما دائري أو نصف كروي أو اهليجي أو أي شكل آخر غير منتظم، ينتهي الخزان بقرص يتوسطه غالباً ثقب للتموين بالوقود، إلا أنه أحياناً يتم تغيير موضعها لخدمة الزخرفة وقد يضاف له ثقب آخر للتهوية⁵، أما المشعل فهو الجزء الذي توضع فيه الفتيلة، يكون على شكل مسكب في المسرحجة المفتوحة أو ثقب صغير ناقد أو قناة ممتدة في المسرحجة المغلقة، والمقبض هو الجزء النائي من الخزان، قد يتخذ شكل حلقة أو يكون أصم على هيئة ممسك، أما القاعدة فتتخذ الشكل العام للخزان⁶. الشكل رقم 1

¹ الزبيدي محمد مرتضى الحسني، تاج العروس من جواهر القاموس، تج. عبد الستار أحمد فراج، مج. 2، الكويت 1385هـ/1965م. ص. 58

² ابن منظور، الاقريقي المصري، لسان العرب المحيط، إ.ع. وت.ص. يوسف خياط، مج. 2، دار لسان العرب، بيروت، د.ت، ص. 403

³ الزبيدي، المصدر السابق، مج. 2، ص. 88

⁴ Ponich (M) La lampe romaine en terre cuite de la Mauritanie Tangitane, Rabat, 1961.

⁵ Provoost (A), Les lampes antiques en terre cuite Antiquité classique, T45, Fasc1, 1976, P.7

⁶ Ibid, P. 8

2 ظهور المسرحية وتطورها حتى العهد الاسلامية:

لقد أدرك الانسان أهمية النور منذ بدأ الخليقة، فاعتمد على أشعة الشمس نهارا وعلى ضوء القمر ليلا، ولكن عندما يغيب القمر كان لابد من إيجاد وسيلة أخرى للإنارة، فاكتشف النار منذ حوالي 450000 سنة قبل الميلاد¹، ولما كانت حياته تقوم على التنقل، وتمتد أوقات نشاطه لوقت متأخر من الليل اخترع المشعل ثم استخدم نوعا من الفتيل يغمره في مواد دهنية ويضعه داخل الصدفة كمرحلة أولى²، وفي العصر الحجري القديم الأعلى (الباليوليتيك) استخدم أحواضا حجرية صغيرة كان ينحتها بيده، بها مواد دهنية كتلك التي وجدت بالقرب من المغارات التي سكنها³. وبعد أن اهتدى إلى صناعة الفخار في النيوليتيك استخدم المسارج الفخارية التي ظهرت على هيئة جفنة بسيطة، ثم بشكل صدفة في بلاد الرافدين خلال الألف الرابع ق.م⁴، وفي مصر حيث وصفها هيرودوت بأنها وعاء منحوت من الحجر أو مشكل من الطين مملوء بالدهون أو الزيوت المالحنة تطفو فوقها الفتيلة⁵، كما اكتشفت في مقابر فلسطين لدى العبرانيين⁶، وكذلك في المواقع والمقابر الفينيقية ثم أصبحت بشكل أكثر تطورا مكونة من مشعلين أو ثلاث مشاعل وقاعدة مرتفعة، مؤرخة بالألف الثالث قبل الميلاد⁷. اللوحة 1 أ. ب. ج

يكاد يجمع الباحثون على أن تطور صناعة المسارج حدثت على يد الاغريق الذين جعلوها مغلقة، واهتموا بتطوير أشكالها وزخرفتها، وأقدم هذه الأنواع

¹ زينب الطابع أحمد الناصر، الإضاءة الطبيعية ووسائلها الصناعية في العصر الإسلامي "دراسات وبحوث في الآثار والحضارة الإسلامية، ط. 1، دار الوفاء، الإسكندرية، 2000م، ص. 39-40

² Cintas (P.), La céramique punique. S.L., S.D., P.521

³ De beaune (A.) (S), De la domestication du feu aux premières lampes in nouveautés Technologiques, Genève, 2003, P 13-14

⁴ زهدي بشير، "لمحة عن السراج ونماذجه" في مجلة الحوليات السورية"، مج. 24، 1974م، د. م.، ص.

⁵ Nicolas (H.), Une collection de lampes antiques, in revue tunisienne, T XIV, 1907, P. 324

⁶ Ibid, P. 457

⁷ Cintas (P.), op cit PP.520-521

عبارة عن وعاء بحواف مسطحة مائلة إلى الداخل، مشكلة فوهة كبيرة للتموين، يبرز منه ثقب ناقد يمثل المشعل، ثم تطورت إلى خزان عميق تتوسطه فوهة كبيرة وتبرز منه قناة طويلة¹ تسمى بالمسارج الدلفينية Delphiniforme وهي أكثر الأنماط انتشاراً². اللوحة 2 أ. ب. ج

اقتبس الرومان هذه الصناعة عن اليونان وطوروها، فتميزت مسارج القرن 1م بوجود خزان دائري مقعر تتوسطه فوهة للتموين، ومشعل قصير، مع غياب المقبض، وبالخفة ودقة الزخرفة. وفي القرن 2م ظهر المقبض، وأصبح المشعل أكثر بروزاً، وأضيف ثقب آخر للتهوية. وتميزت مسارج القرن 3م بخلوها من الزخرفة باستثناء الشريط، واحتوائها على ثقب واحد للتموين³. اللوحة 3 أ. أما المسارج الفترة المسيحية فظهرت بشكل أكثر امتداداً، والمشعل بهيئة قناة طويلة، والممسك مثلث أو أسطواني يعمل كعاكس للضوء⁴. ونتيجة التغير في الاعتقاد الديني زخرفت برموز مسيحية وعبارات دينية اللوحة 3 ب. وخلال القرن 5-6م ظهر نمط جديد للمسرجة على هيئة محبرة ذات فوهة متسعة نسبياً، في جانبها ثقب للفتيلة، وبدون مقبض نسبت إلى الفترة الوندالية اللوحة 4 أ⁵. وهكذا تطور شكل المسرجة من جفنة إلى صدف، ثم بهيئة خزان به فوهة للتموين وثقب للفتيلة، المبدأ العام الذي لم يتغير عبر العصور.

3 المسارج الإسلامية وأنماطها.

لقد ازداد اهتمام المسلمين باستعمال وسائل الانارة المختلفة، حيث الحاجة الماسة إلى إضاءة بيوت الله العامرة بالمصلين في صلاة المغرب والعشاء، فكانت من السعة بمكان بحيث لا يكفي لإضاءتها سراج واحد، فتعددت

¹ Bruneau (P. H.) Les Lampes et l'histoire économique et sociale de la Grèce, in céramiques hellénistiques et Romaines, V. 36, C.R.H.A. Université de Besançon, 1880, P. 24

² Nicolas (H.), op. cit, P.328

³ Gobat M (C. H.) , op. cit, P. 302

⁴ Ibid, P.308

⁵ Nicolas (H.), op. cit, P.457

وسائل إنارتها من مسارج فخارية وأخرى حجرية ومصابيح معدنية، وقناديل زجاجية. وأول من أمر بإنارتها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما جمع الناس في صلاة التراويح¹. لقد كشفت التنقيبات الأثرية على استعمالها في جميع المباني من بيوت وقصور ومساجد وغيرها، ولا غرابة في ذلك فهي من الوسائل التي رافقت الإنسان منذ أن صنعها إلى أن اختراع المصباح الكهربائي.

لقد اقتبس المسلمون في الفترة المبكرة الأنماط ذات الطراز المسيحي والوندالي، باستثناء تلك التي على هيئة أشكال مجسمة، لأنها تتنافى وضوابط هذا الدين الداعي إلى حظر التصوير، ثم ابتكروا أنماطا جديدة ميزت الفترة الإسلامية ومن أنماط المسارج القديمة المقلدة:

3-1 المسارج الجفنية: هي أقدم أنواع المسارج، استمر استعمالها حتى العهد المملوكي² اللوحة 5 أ. وجد هذا النمط في العراق مؤرخ بالقرن 1هـ/ 7م³ وبمتحف دمشق مسرحة خزفية مؤرخة 3-4هـ/ 9-10م⁴ اللوحة 6 أ. وبمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة مسرجتان الأولى خزفية والثانية فخارية تعود إلى العصر الفاطمي، مؤرخة بالقرن 6هـ/ 12م⁵.

ومن نماذج هذا النمط المسارج ذات الحويصلة، وهي عبارة عن نصف قبة ترتكز فوق المسرحة الجفنية، تتوسطها فوهة للتموين، وفي الطرف الأسفل ثقب للفتيلة، يمتد باتجاه الجزء المضغوط من الجفنة يعود إلى العصر اليوناني والروماني، عثر عليه في وادي أورتنز مع نقود قديمة⁶. تم اقتباس هذا النموذج من طرف المسلمين، حيث اكتشف في منطقة جبلة بالساحل

¹ حمودي خالد خليل، التوتونجي نجاة يونس. "السراج الإسلامي في العراق"، مجلة سومر، ج. 1، مج.

33، بغداد، 1977م، ص. 149

² العش (أبو الفرج)، "الفخار غير المطلي" مجلة الحوليات السورية، مج. 10، د.م.، 1960، ص. 58

³ حمودي خالد خليل والتوتونجي نجاة يونس. المرجع السابق، ص. 148

⁴ العش (أبو الفرج)، المرجع السابق، ص. 58

⁵ ميرفت عبد الهادي عبد اللطيف محمد، المسارج الفخارية والخزفية من بداية العهد الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي من خلال مجموعات متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، رسالة ماجستير،

جامعة القاهرة، 1989م، ص. 173

⁶ العش (أبو الفرج)، المرجع السابق، ص. 59

السوري مؤرخ بالقرن 6هـ/ 12م¹ اللوحة 6 ب، وعثر عليه في الفسطاط بمصر في المستويات المؤرخة بالقرن 4-5هـ/ 10-11م².

2-3 المسارح الاهليجية: تتخذ شكلا اهليجيا تتوسطه فوهة كبيرة نسبيا للتموين، وفي الطرف الممتد ثقب للفتيلة، ومقبض أو ممسك في الطرف المقابل³، وهي ذات سطح محدب، تحيط بفوهة الوقود قناة تنتهي بمجرى طولي ممتد إلى ثقب الفتيلة⁴. اللوحة 5 ب. يعود هذا النمط إلى العهد البيزنطي، وظل مستعملا في الفترة الاسلامية، وأقدم ما وصلنا يعود إلى الفترة الأموية عثر عليه بمنطقة جرش في الأردن، وبمنطقة الرملة في فلسطين وهي تحمل زخارف نباتية هلنستية مؤرخة بالقرن 2هـ/ 8م⁵. وفي بلاد الشام اكتشفت بقصر الحيرى الغربى والرقه وبصرى الشام مؤرخة بالقرن 1-6هـ/ 7-12م⁶. اللوحة 6 ج. وفي مصر تعود إلى القرن 1-5هـ/ 8-11م⁷. وفي العراق القرن 6هـ/ 12م⁸.

لقد اقتبس المسلمون الأنماط القديمة الجفنية والاهليجية، وتلك التي على شكل محبرة في الفترة الاسلامية المبكرة، ثم ابتكروا أنماطا جديدة ذات طابع اسلامي، تميز بعضها بوجود مصاف داخل فوهاتهما، واشتمل البعض الآخر على توقيعات أصحابها، وعبارات وحكم مثل: البركة والعز والصبر عند البلاء،

العش (أبو الفرج)، المرجع السابق، ص. 59¹

² ميرفت عبد الهادي عبد اللطيف محمد، المرجع السابق، ص. 176

³ Sauvaget (J.), Introduction à l'étude de la céramique islamique, librairie orientaliste, Guenther, Paris, 1966, P.60

ميرفت عبد الهادي عبد اللطيف محمد، المرجع السابق، ص. 24⁴

⁵ Soustiel (J.), La céramique islamique, guide de connaisseur, édit.Vilo, Paris, 1986, P. 34

⁶ العش (أبو الفرج)، المصدر السابق، ص. 59

⁷ ميرفت عبد الهادي عبد اللطيف محمد، المرجع السابق، ص. 46

⁸ حمودي خالد خليل والتوتونجي نجاة يونس، المرجع السابق، ص. 150

واصبر إن ملني خليلي وغيرها¹. ويمكن حصر أنماط المسارج الإسلامية فيما يلي:

3-3 المسارج الدائرية: ذات بدن دائري تتوسطه فوهة كبيرة نسبيا، في طرفه ثقب بارز قليلا عن البدن أو مشعل ممتد مفتوح من الأعلى ومدبب الطرف، وممسك مخروطي². اللوحة 5 جـ

4-3 المسارج الكروية: ذات بدن كروي تتوسطه رقبة بدل الفوهة ومشعل مبالغ في طوله ومقبض حلقي، تكون غالبا من الخزف وجدت منتشرة في كل العالم الإسلامي³. اللوحة 5 دـ.

3-5 المسارج ذات الرجل: مكونة من طبق دائري في الأسفل يتوسطه عمود أو ساق ترتكز عليه مسرجة جفنية، يصل بين الطبق السفلي والمسرجة الجفنية مقبض عمودي الشكل. اللوحة 5 هـ. وهذا النمط من المسارج متأثرة في شكلها العام بالمصاييح المعدنية⁴.

4 مسارج المغرب الأوسط :

مكننت الأسبار والحفائر الأثرية التي أجريت بالمغرب الأوسط من الاقرار بوجود مراكز لصناعة الفخار في كل من تهرت⁵ وتلمسان⁶ وتيديس⁷ وأشير⁸

¹ حسن الباشا، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، مج. 2، ط. 1، لبنان. 1420 هـ/ 1990 م، ص. 185

² Sauvaget (J.), op. cit, P. 60

العش (أبو الفرج)، المصدر السابق، ص. 60³

⁴ Sauvaget (J.), op. cit, P. 60

⁵ Cadenat (P.), Sur quelques lampes antiques de l'est Oranais au bulletin d'archéologie Algérienne, T. VIII, 1977-1979, Fasc. II, PP. 259-353

⁶ Bel (A.) Un atelier de poteries et de faïences du X siècle découvert à Tlemcen, Constantine, 1914

⁷ Berthier (A.), Tiddis cité antique de Numidie, Paris 2000

⁸ Mokrani, (M.A.), « A propos de céramiques récemment découvertes lors de Fouilles sur le site d'Achir X-XI Siècles », C.M.M.O Aix provence 1997, PP. 291-300

وقلعة بني حماد¹ وسطيف² وبجاية³ التي أمدتنا بكميات كبيرة من هذه المسارج الفخارية.

بعد الدراسة التنميطية بالاعتماد على اختلاف أشكالها ومواصفاتها، والتصنيف الزمني باتباع مبدأ التسلسل الكرونولوجي للطبقة التي وجدت فيها، والمقارنة مع أنماط أخرى في العالم الإسلامي وجدت مؤرخة أمكننا التمييز بين خمسة أنماط رئيسية، ونماذج أخرى فرعية وتصنيفها وتأريخها على النحو التالي:

1-4 النمط الأول: المسارج الدائرية الشكل: تكون غالبا من الفخار، تنقسم إلى خمسة نماذج فرعية هي :

- النموذج الأول: فوهة الزيت متسعة نسبيا، ومستوية مع السطح، أو مائلة إلى الداخل. المشعل عبارة عن ثقب صغير ناقد في القرص، أو بارز قليلا عن البدن، والمقبض مجرد نتوء بسيط، وهي ذات مظهر خشن خالية من الزخرفة، اكتشفت بموقع سطيف في المستويات التي تعود إلى نهاية القرن 3هـ/ 9م⁴. الصورة رقم: 1 وكذلك بموقع تهرت في مستويات القرن 2-3هـ/ 8-9م⁵. وبالأندلس في المستويات التي تمثل فترة الإمارة 192-330هـ/ 711-942م⁶

¹ Golvin (L.) , Recherches archéologiques à la qal 'a des Banu Hammad, Maisonneuve et La rose, Paris 1965

² Fentress (E.) et Autres, Fouilles de Sétif 1977- 1984, 5 Supplément au Bulletin d'archéologie Algérienne, union arabe du fer et de l'acier, 1991

³ Marçais (G.), Les poteries et Faïences de Bougie, Constantine, D. Brahma

⁴ Mohamedi, (A.) « Informations sur les découvertes récentes en céramiques médiévale effectuées à Sétif », colloques internationaux C.N.R.S. S. N 584, La céramique médiévale en méditerranée occidentale, S.L., S.D., P.225

⁵ Cadenet (P), op.cit, P.405, fig. 42 ,N 6

⁶ Zozaya (J.), « aperçu général sur la céramique espagnole », colloques internationaux C.N.R.S. N°584 céramique médiévale en méditerranée occidentale, S.L., S.D., P.271. fig. 4C

- النموذج الثاني: يختلف عن النموذج الأول بتطور المشعل من ثقب صغير إلى مشعل طويل، مفتوح من أعلى، ينتهي بطرف مدبب، وتطور الممسك من بروز مخروطي إلى شكل حلزوني الصورة رقم: 2
- النموذج الثالث: يختلف عن النموذجين السابقين في تطور فوهة الوقود البسيطة إلى فوهة محاطة بحلقة بارزة قليلا عن مستوى سطح المسرجة. الصورة رقم: 3.
- النموذج الرابع: يختلف عن النموذج السابق في تطور فوهة الوقود التي على شكل حلقة إلى رقبة أسطوانية قصيرة أو عنق طويل، ينتهي بفوهة قمعية، ومقبض حلقي¹. الصورة رقم: 4.
- النموذج الخامس: يتمثل في المسارج المزدانة بخروم مستديرة حول الفوهة أو الرقبة، وهي ذات أشكال هندسية تساعد على التهوية، بالإضافة إلى وظيفتها الجمالية. الصورة رقم: 5.
- باستثناء النموذج الأول المؤرخ بالقرن 8-9م أرخت بقية النماذج بالقرن 4-5هـ/ 10-11م ففي تونس عثر على مسرجتين من نفس النمط بموقع دوقة ورباط سوسة² وفي صبرة المنصورية وجدت مسرجة بمشعلين مزودة بخروم حول الفوهة تعود إلى العهد الفاطمي، محفوظة بمتحف الفنون الإسلامية بالقيروان³ وهي تشبه تلك التي وجدت بقلعة بني حماد⁴ كما وصلتنا نماذج من هذا النمط من مدينة البصرة المغربية مؤرخة بنفس الفترة⁵. ومن الفسطاط بمصر مع صنوج زجاجية من عهد الخليفة المستنصر الفاطمي 1036-

¹ Bel (A) , op.cit, P.35

² Louhichi (A) , « la céramique islamique de dougga » Africa, TXVI, S.L., S.D., P.114, fig.7

³ Daoulati (A) , « La production vert et brun en Tunisie du XI au XII siècle », le vert et le brun de Kairouan à Avignon céramiques du X au XV siècles, Avignon, 1995, P.8 , fig. 31

⁴ Marçais, G., poteries et faïences de la qual'a des benî hammad XI siècles, D.Braham, 1913, P.14, PL.V

⁵ Fili (A) , la céramique médiévale du Maroc état de question et mémoire en histoire et archéologie, 1998 , P.68

1094م¹. ومن الأندلس تعود إلى فترة الخلافة الأموية 330-426هـ/1035-1087م².

2-4 النمط الثاني: المسارج الكروية: وقد تكون أحيانا بجوانب منكسرة، وهي ذات عنق ومشعل مستقيم مبالغ في امتداده، ومقبض حلقي صغير، ومشكلة من الخزف. الصورة رقم: 6

أرخت مسارج هذا النمط بالقرن 5هـ/11م وقد وصلتنا عينات من موقع رقادة بتونس محفوظة بمتحف البارود مؤرخة بالقرن 10-11م³ الصورة رقم: 12. ومن الفسطاط مؤرخة بالنصف الثاني من القرن 11م تعود إلى العصر الفاطمي⁴. ومن قرطبة بالأندلس أثناء فترة الخلافة 11م⁵. واستمر وجودها في العهد المرابطي (480-576هـ/1087-1180م) والموحدي 576-630هـ/1180-1232م⁶.

3-4 النمط الثالث: المسارج الأسطوانية: ينتهي البدن بحافة بارزة قليلا، وغطاء مقعر، تمتد منه رقبة مشكلة فوهة كبيرة للتموين، وهي ذات مشعل طويل يتصل بها مقبض حلقي، مشكلة من الخزف. الصورة رقم: 7
تم تأريخ مسارج هذا النمط بالقرن 5-6هـ/11-12م عشر على أنماط مماثلة بالفسطاط في الطبقات المؤرخة بالقرن 5هـ/11م من العهد الفاطمي، وفي المستويات المؤرخة بالقرن 6هـ/12م من العصر المملوكي⁷. والتأريخ الذي حدده كوبياك القرن 11-12م، يتماشى تماما مع المحتوى التاريخي لقلعة بني حماد بالجزائر.

ميرفت عبد الهادي عبد اللطيف محمد، المرجع السابق، ص. 70¹

2 Zozaya (J), op.cit, P.172, fig. 4.d

³ 3 Daoulatli (A), op.cit P.83, N. 3

4Kubiak (W.B), Medieval ceramic oil lamps from fustat, arts orientalis-VII,S.L.,1970,fig.11,12,20

⁵ Zozaya (J), op-cit, P.287, fig. 11.a

⁶ Ibid, P.283, fig. 11.e

⁷ Kubiak, W.B., op.cit, fig. 9, type f,

4-4 النمط الرابع: المسارج الجفنية تنقسم إلى نماذج فرعية نتيجة وجود اختلافات في الشكل ومنها :

النموذج الأول: مجرد طبق ثنيت حافته لتمسك بالفتيلة، مزودة بمقبض أو بدون ذلك. الصورة رقم:8.

النموذج الثاني : يتمثل في المسارج الجفنية ذات الرجل أو الساق. الصورة رقم:9

وقد أرخت مسارج هذا النمط بالنصف الثاني من القرن 6-7هـ / 12-13م أكتشف بقرطاجة تعود إلى الفترة الحفصية، محفوظة بمتحف قرطاج¹. الصورة رقم:14. وفي المغرب الأقصى بالمدرسة البوعنانية بفاس في الدولة المرينية². كما عرف هذا النمط في الأندلس خلال الفترة الموحدية³. وانتشرت بكثرة في حوض المتوسط بمرسليا مؤرخة بالربع الأول من القرن 8هـ/14م⁴. الصورة رقم: 16، 13 واسبانيا بتريال Truel وبتيرنا Paterna خلال القرن 6هـ/13م⁵ الصورة رقم: 15

4-5 النمط الخامس: المسارج المكعبة: على هيئة صندوق تتوسطه فتحة لملا الزيت ومشعل بارزا وممسك أو مقبض حلقي، يمثل هذا النمط نوعا من الخصوصية، التي انفرد بها المغرب الأوسط اكتشفت بقلعة بني حماد تم تأريخها بالقرن 4-5هـ / 10-11م الصورة رقم: 10 وبالفسطاط اكتشفت مسارج مماثلة من العهد الفاطمي محفوظة بمتحف الفن الإسلامي⁶.

نتائج البحث

¹ Daoulati, A., op.cit, P.88 N. 60

² Fili, A., op.cit, P.75, fig.48

³ Zozaya, J., op.cit, P.289, fig. 17g

⁴ Lerma(V), Soler(M.P.), « les grandes officines d'Espagne », le vert et le brun de Kairouan à Avignon céramiques du X au XI siècles, P.176.

⁵ Vallauri, (L.), et d'autres « de Marseille au Languedoc et au comtat Venaissin » le vert et le brun de Kairouan à Avignon , céramiques de X au XI siècles; P.218

⁶ عبد الهادي، م. ع. م. ، المرجع السابق، ص.174.

لقد أكدت هذه الدراسة على أن الأجزاء المكونة للمسرجة هي التي شكلت محاور التطور ولهذا اعتمدنا على تطورها كأساس لهذا التنميط، ومن ثم تأريخها بمقارنتها بأنماط أخرى مماثلة ومؤرخة وجدت في مواقع أخرى بالعالم الاسلامي.

لقد صاحب هذا التطور في البنية المورفولوجية تطور في الأساليب الفنية فمن مسارج فخارية خشنة إلى أخرى متناسقة الأجزاء ومزخرفة، لتنتهي بمسارج خزفية ذات قدرة فنية عالية.

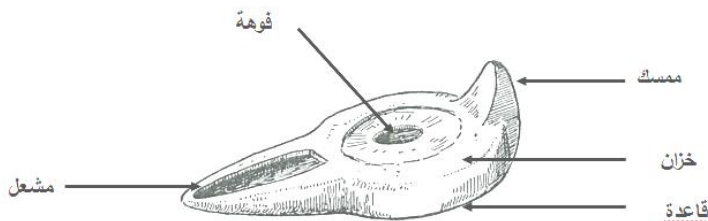
إن هذه الأنماط كانت متداولة في جميع أقطار العالم الإسلامي شرقه وغربه، ظهرت في نفس الفترة تقريبا، وهي ذات خصائص مشتركة، حيث توحى لنا أشكالها وأحجامها وأساليب زخرفتها بأنها نسخ طبق الأصل في كل العالم الاسلامي مما يؤكد على وجود محتوى اسلامي متجانس شكلا ومضمونا.

تعكس مسارج المغرب الأوسط التأثير بالفن الفاطمي حيث صمم بعضها بإعداد مصاف مزخرفة الخاصة التي ميزت المنتجات الفخارية الفاطمية كالجرار والقلل، كما أن زخرفتها بأكثر من لون على شكل سيول، تمثل طريقة خزف منطقة الفيوم الفاطمي بمص.

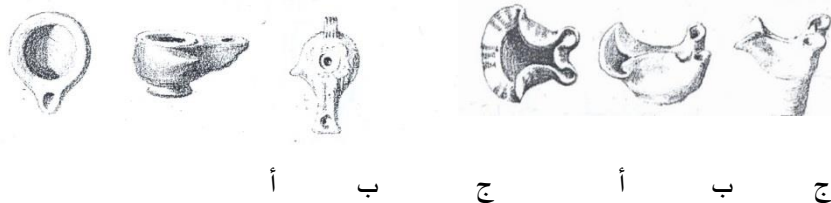
هذا إلى جانب وجود تأثيرات أندلسية منذ نهاية القرن 5هـ/11م نتيجة الوجود المرابطي والموحدي حيث نجد تقليدا لأشكال المسارج الأندلسية كما تعكسه مسارج موقع تلمسان. كما تتجلى هذه التأثيرات في استعمال الزخارف النباتية والهندسية (الأرابيسك) واللون الأزرق بدل الأخضر كما تمثله مسارج موقع بجاية الصورة رقم 11 حيث أصبحت هذه الأخيرة مركزا مهما لصناعة الخزف الراقى، لعلاقتها بمراكز أخرى في حوض المتوسط كالبيرا ومالقا ومرسيليا وفلانسيا وغيرها. مما يؤكد أن المغرب الأوسط لم يكن بمعزل عن هذا الجو الفني العام السائد في العالم الاسلامي كله.

إن هذه الدراسة في مجال الآثار الفنون التطبيقية لم تكن مجرد عرض وفهرسة لهذه التحف الفنية التي كانت دفينة تراكمات المؤسسات المتحفية، بل الهدف هو تصنيفها وتتبع مراحل تطورها ووضعها داخل إطارها الكرونولوجي الصحيح، مما يسمح بتأريخها وتأريخ اللقى الأثرية التي وجدت معها في نفس الطبقة الأثرية، والاقرار بوجود ورشات متطورة لصناعة الفخار

والخزف في المغرب الأوسط تكاد تضاهي بقية المراكز الأخرى في العالم الإسلامي.

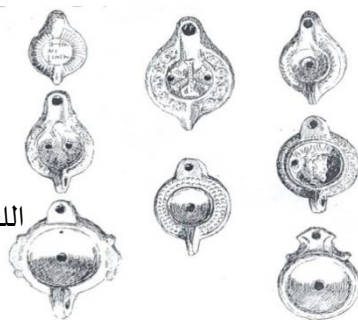


الشكل 1/ أجزاء المسرجة الإسلامية



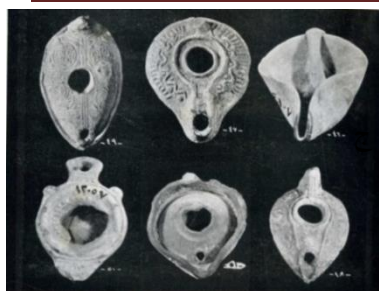
اللوحة 2/ مسارج يونانية

اللوحة 1/ مسارج فنيقية



اللوحة 3/ مسارج وثنية ومسيحية

اللوحة 4/ مسارج وندالية



اللوحة 6/ مسارج من بلاد الشام



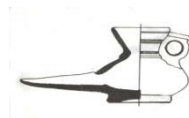
ب



هـ



أ



د

اللوحة 5/ أنماط المسارج الإسلامية



الصورة 6/ النمط 2



الصورة 1/ النمط 1 النموذج 1



الصورة 7/ النمط 3



الصورة 2/ النمط 1 النموذج 2



الصورة 8/ النمط 4 النموذج 1



الصورة 3/ النمط 1 النموذج 3



الصورة 9/ النمط 4 نموذج 2



الصورة 10/ النمط 5



الصورة 4/ النمط 1 النموذج 4

الصورة 5/ النمط 1 النموذج 5



الصورة 13/ مرسيليا



الصورة 12/ رقادة



الصورة 11/ بجاية



الصورة 16/ مرسيليا



الصورة 15/ باترنا



الصورة 14/ قرطاج

الهوامش

- 01- ابن منظور: لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف يوسف خياط، المجلد الأول والثاني والثالث، دار لسان العرب، بيروت، د.ت
- 02- الزبيدي محمد مرتضى الحسني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الجزء الأول، الكويت 1385هـ/1965م.

- 03- العث (أبو الفرج)، "الفخار غير المطلي" مجلة الحوليات السورية،
1/ المجلد العاشر، د.م.، 1960، ص.135-184
- 2/ المجلد الحادي عشر والثاني عشر، د.م.، 1961-1962 م، ص.35_60.
- 04- بشير زهدي، "لمحة عن السراج ونماذجه" في مجلة الحوليات السورية، مجلد 24، 1974 م
- 05- حسن الباشا، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، لبنان
1420هـ/1999م.
- 06- خالد خليل حمودي ونجاة يونس التوتونجي، "السراج الإسلامي في العراق" مجلة سومر، الجزء
الأول، المجلد الثالث والثلاثون، بغداد 1977 م، ص.147-163
- 07- زينب الطابع أحمد الناصر، الإضاءة الطبيعية ووسائلها الصناعية في العصر الإسلامي"
دراسات وبحوث في الآثار والحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية، 2005 م، ص.
39-51.
- 08- ميرفت عبد الهادي عبد اللطيف محمد، المسارح الفخارية والخزفية من بداية العهد الإسلامي
حتى نهاية العصر الفاطمي من خلال مجموعات متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، رسالة ماجستير
جامعة القاهرة، 1989 م

- 09- AMOURIC (Henri), DEMIANS D'ARCHIMBAUD (Gabriel), Vallauri(Lucy), « de Marseille au Languedoc et Au Comtat Venaissin : Les Chemins du Vert et du Brun » le Vert et le Brun de Kairouan à Avignon, Céramiques du X Au XV siècles. 1995 PP.185-232
- 10- BEL (Alfred) Un atelier de poteries et faïences du X Siècle découvert à Tlemcen, Constantine.1914
- 11- BERTHIER (André), Tiddis cité antique de Numidie, Abbeville, Paris 2000
- 12- CADENAT (P) Sur quelques lampes antiques de l'est Oranais au bulletin d'archéologie Algérienne, TomeVIII1977-1979, Fasc II, PP.259-353.
- 13- De beaune(A.) (S), De la domestication du feu aux premières lampes in nouveautés Technologiques,
Genève, 2003
- 14-CINTAS (Pierre), La céramique punique. S.L., S.D.
1. DAOULATLI (Abdelaziz), « La production du vert et brun en Tunisie du XI au XII siècle » le vert et le brun de Kairouan à Avignon, céramiques du X au XV siècles,1995 PP.69-88
- FENTRESS (Elizabeth), AMAMRA (Aicha Aziza) et Autres. Fouilles de Sétif 1977-1984, 5 supplément au bulletin d'archéologie Algérienne, union arabe du Fer et de l'acier,1991.
- FILI (Abdallah), La céramique médiévale du Maroc: état de la question, mémoire en histoire et archéologie médiévale, 1996.
- GOBAT MANNI (C H), Histoire de la lampe antique en Algérie, S. L., S.D.
- GOLVIN (Lucien)

1-Recherches archéologiques à la qal'a des Banû Hammâd ,G. P Maisonneuve et larose, Paris, 1965.

2- « Les céramiques émaillées de période Hammadide qual'a des Banu Hammad Algérie » colloques internationaux, N.R.S.N°584- la céramique médiévale en méditerranée occidentale, PP.203-217

KUBIAK (W.B) Medieval ceramic oil lamps from fustat, arts orientalis-VII,S.L.,1970

LOUHICHI (Adnan) « La céramique islamique de Dougga » Africa XVI., S.L.,1998, PP.109-12MARCAIS(Georges)

1- Poteries et faïences de la Qal'a des Benî Hammad *XI Siècles* D.Braham.1913.

2- Les poteries et faïences de Bougie, Constantine D.Braham 1916.

MOHAMEDI (Anissa), « Informations sur les découvertes récentes en céramique médiévale effectuées à Sétif (Algérie) » colloques internationaux C.N.R.S.N°584-la céramique médiévale en méditerranée occidentale,PP.219-226.

MOKRANI (Mohamed Abdelaziz), « A propos de céramiques récemment découvertes lors de fouilles sur le site d'Achir (Xe-XIe Siècles) » C.M.M.O Aix en Provence, 1997, PP.291-300.

NICOLAS (Henri), « Une collection de lampe antique » Revue Tunisienne, TXIV, 1907, PP.321-416

PONICH (Michel), La lampe romaine en terre cuite de la Mauritanie Tangitane, Rabat, 1961.

Provoost (A), Les lampes antiques en terre cuite Antiquité classique, T45, Fasc1, 1976

SAUVAGET (Jean), Introduction à l'étude de la céramique islamique, librairie orientaliste, P. Geuthner, Paris,1966.

SOUSTIEL (Jean), La céramique islamique, guide de connaisseur, éditions Vilo, Paris, 1986

LERMA (Josep Vicent), SOLER (Maria Paz), « Les grandes officines d'Espagne » le vert et le brun de Kairouan à Avignon, céramiques du X Aux XI siècles,1995, PP 165-182.

ZOZAYA (Juan), «Aperçu général sur la céramique espagnole », colloques internationaux, C.N.R.SN°584- la céramique médiévale en Méditerrané occidentale ,S.L., S.D., PP266-288

